ديوان الأمير تميم الفاطمى

للاستاذ محمد حسن الأعظمى

تقوم دار الكتب المصرية الملكية الآن بطبع ديوان الأمير تميم ابن المعز لدين الله الفاطمى بأبى القاهرة ومشيد الأزهر . وهذا الديوان كنز من كنوز الأدب الغالية استطعت أن أستخرجه أولا من مكتبة الفاطميين المحفوظة فى الهند لدى خلفائهم وورثتهم وهم أحفاد أولئك الذين حملوا تراثا وفيرا من العلم والأدب إلى هذه الأقطار بعد انهيار الدولة الفاطمية فى مصر وتغلب الدولة الأيوبية على البقية الباقية منها . وقد عاش هذا التراث بين جبال اليمن عدة قرون ، ثم رأى هؤلاء الحافظون لتركة الفاطميين أن يغتربوا بها فى أرض لا يعرف أهلها العربية . وذلك لكى يبقى هذا الكنز بعيداً عن متناول الأيدى ، مجهول القيمة والقدر حتى لا يفطن إليه أحد فيصيبه ما أصاب غيره من الكنوز التى تبددت بين تلاعب الأيدى وعبث الرواة وتحريف الناقلين . وقد دفعنى شغفى بالبحث وحبى للاطلاع إلى أن أجوب معاهد الهند ومكاتبها الموزعة بين طوائفها المختلفة . ولم يكن يعنينى من ذلك كله سوى محاولة العثور على وثائق تاريخية أو أدبية يفيد منها المعنيون بالدراسات الاسلامية . وكانت مملكة الفاطميين الصغيرة فى الهند إحدى المناطق التى زرتها واختلفت إليها وأمكننى أن أستنسخ منها عددا من المخطوطات الهامة والكتب العلمية الأثرية بما صنفه ملوك الفاطميين ووزراء الدعاية فى دولتهم ؛ فمن منثورها محاضرات المؤيد الشيرازى الثمانمائة التى ألقاها بالأزهر منذ ألف عام وهى نماذج رائعة فى الأدب الكلامى وبلاغة النثر العربى والحوار المنطقى والفلسفى ومن منظومها ديوان هذا الأمير الذى يتكنى باسمه المعز لدين الله إذ يقال له ابو تميم وكان لهذا العاهل الفاطمى الأول فى مصر ابنان أكبرهما تسنم دولة الشعر ، وكان أصغرهما ولى عهد أبيه وهو العزيز بالله .

وقد أتيح لى أن أراجع ديوان تميم هذا على سبع نسخ مخطوطة أخرى . ثم كان لزاما على أن أقوم بشرح وتعليق لبعض المصطلحات والألفاظ الغريبة وأن أضع للكتاب مقدمة مسهبة تكشف النقاب عن تسلسل هذه الدولة الفاطمية إلى أن شكلت حكومتها فى القاهرة .

أما الديوان نفسه فهو قبل كل شىء صورة من الأدب المصرى . فيه الخصائص المصرية بقدر مافيه من الخصائص العربية فهو شاعر مصرى صميم ، وإن لم يكن مصرى المولد والنشأة والتربية

يرى المتتبع هذا الديوان أسماء لمواطن وأوصافا لجهات معروفة بالقاهرة وضواحيها حتى اليوم ، كما يكشف هذا الكتاب عن الحالة الأدبية فى العصر الفاطمى وكذلك المذاهب الاسلامية والحوار المذهبى فى ذلك العهد . والاحتفاظ بهذا الديوان ضرورى للتاريخ والأدب المصريين ولاسيما إذا عرفنا أن العصر الفاطمى قد ذهبت آثاره وانطوى سجل التاريخ على مخلفاته . فلم يفتح الا على القليل منها . فقد تقرأ فى المصادر التاريخية أن مائة من الشعراء هنأوا أو رثوا أو مدحوا أحد الخلفاء الفاطميين . ثم لا تجد هؤلاء الشعراء ولا أشعارهم فقد أحرقت مكتبات وضاع بعضها بين عوج الحوادث وأعاصير الانقلاب السياسى . فكل ورقة نعثر عليها الآن تعد ذات قيمة غالية بالنسبة لموضوع الأدب المصرى بالذات . وهذا باعتبارها أمتين إسلاميتين كبيرتين أقوى من صلات مصر بأمم الغرب ، وهذه حقيقة ثابتة فى النفوس ولكنها تحتاج إلى تعهد وتنظيم ، ويرجى من الجمعية المنشودة أن تكون أداة لذلك وأن تتخذ من النشاط الثقافى دعامة التوطيد والتدعيم .

ويرى أصحاب الفكرة — وهم على حق فيما يرون — أن الهيئات الرسمية مصرية وباكستانية ينبغى لها أن ترعى هذه الجمعية وتعينها على أهدافها ومن الإنصاف أن نذكر فى هذا الصدد الجهود الموفقة التى تبذلها السفارة الباكستانية ومكتب صحافة الباكستان بالقاهرة فى النواحى الاجتماعية والثقافية ، وأقدر بذلك الاجتماعات والاحتفالات التى تقيمها فى المناسبات الاسلامية والتى يتجلى فيها شعور المودة ويشاد فيها بالمثل الاسلامية التى تجمع الشمل وتوحى بالتعاون لتحقيق الغايات . ويؤسفنى أن أذكر توانى وزارة المعارف والازهر فى الاستجابة للرغبات الباكستانية التى تقدم بها سعادة على بابا سفير مصر فى الباكستان إلى الحكومة المصرية ، إذ كتب منذ عام تقريرا ذكر فيه إقبال الباكستانيين على تعلم اللغة العربية والثقافة الاسلامية وأنهم يعدون العربية لغة ضرورية لفهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية ولا تتخاطب مع الأمم الإسلامية والعربية . واقترح فى تقريره وسائل تحقيق ذلك وهى تنحصر فى العون العلمى من وزارة المعارف والازهر . وقد قضت هذه المقترحات عاما من عمرها فى الكهف ... وأرجو ألا يطول بها السبات .

عباس مصر

هو الذى دفعنى لتقديم الكتاب إلى الحكومة المصرية بمناسبة العيد الألفى للقاهرة والأزهر .

وقد عينت الحكومة منذ اثنى عشر عاما لجنة من أعلام الأدب فى مصر لمراجعة هذا الديوان . ثم انتهى الأمر باقرار طبعه ونشره وتولت دار الكتب القيام بذلك . ولم يحل دون إتمام الطبع وانجازه سوى أزمة الورق أثناء الحرب الأخيرة . وكانت تلك اللجنة الموقرة مشكلة من الدكتور عبد الوهاب عزام بك والدكتور طه حسين بك والأستاذ احمد أمين بك .

ولما عدت إلى القاهرة لتشكيل فرع المؤتمر العالم الاسلامى الدائم رأيت أن أضيف إلى عملى لخدمة الاسلام جهداً أدبياً آخر وهو أن أذكر إدارة دار الكتب بمعاودة العمل على نشر ديوان تميم . وقد أبدت دار الكتب نشاطا ملحوظا فى استئناف طبع الديوان وقطعت فى ذلك شوطا كبيراً . ولعل فى هذا ما يبعث الطمأنينة إلى من ينتظرون صدور هذا الكتاب - سواء أكانوا من الحريصين على ترقب كل جديد من الأدب المصرى . أم كانوا من طلبة كلية الآداب باعتباره مادة من موضوع الأدب المصرى ومثالا من أنتاج القومية المصرية . فأنى أول من يرى فى هذا الديوان ظاهرة جديرة بالنظر وهى أن تميم مع كونه نشأ فى بلاد المغرب وتلقى ثقافته الأولى فى مهد آبائه وأجداده تراه ما يكاد يحل بمصر حتى تصبح وطنه وأنشودة آماله وأغنية أحلامه وقبلة تفكيره . فكأنه قد نسى كل شىء فى وجوده ليذكر شيئاً واحداً هو أنه فى مصر التى يعيش بها ويترجم عن حبه لها وشعوره بجمال الحياة فيها .

وإلى أن يجد القارىء هذا الديوان منشوراً ، فأنى أضع بين يديه هذه النماذج دون تعليق أو شرح استكمالا لهذه العجالة القصيرة التى قدمتها للتعريف بتميم .

قال يرثى والده الخليفة المعز لدين الله الفاطمى :

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا
وترى نضرة الوجوه شحوبا

فقدوا بعدك القلوب اللواتى شقها واجب فشقوا الجيوبا
وامعزاه وامعزاه حتى ينتدى الدمع بالدماء خضيبا
فليذق غيرى الحياة فانى لا أرى للحياة بعدك طيبا

وقال يذم الدهر :

أفنيت دهرك تنتقى فيه الحوادث والمصائب
ولو اتقيت معاصى الرحمن فيما أنت واكب
لأمنت من نار الجحيم وفى الحياة من النوائب
إن لم تراقب من له حكم عليك فمن تراقب

وقال يفتخر على ابنى العباس :

أقروا لنا يا آل عباس بالعلا فلستم لها يا آل عباس أكسبا
سبقنا كم الدين والهجرة التى تأخر عنها جدكم وتحجبا
وكنتم بنى عم النبى محمد وكنا بنيه وهو كان لنا أبا
وليس بنو أعمامه فى دنوهم كمثل بنيه خلطة ونسبا
نباجدكم عن نصره يوم بعثه وجد على جدنا عنه مانبا

وقال فى الزهد :

يا عجبا للناس كيف اغتدوا فى غفلة عما وراء الممات
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن لهم على احدى المعاصى ثبات
من شك فى الله فذاك الذى أصيب فى عينيه بالشتات
يحييهم بعد البلى مثل ما أخرجهم من عدم للحياة

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله ويهنئه فى يوم عيد :

ألا كل يوم من زمانك عيد
وهل فوق اشراق الضحاء مزيد

ايهنئك أن الله فوقك مالك ودونك كل المالكين عبيد
وقد شرد الله الاعادى والمضى وأعقب نار الحادثات خمود
وللناس آمال ضروب وأنفس تسوق إلى أوطارهم وتقود
وليس لنا إلا عليك معول وليس لنا إلا اليك محيد

وقال يمدح الامام العزيز بالله وهى أول قصيدة قالها فيه عام ٣٦٥ هـ :

ما السيف أمضى منه فى عزمه فى غمده اذ سل من غمد
يا أيها البدر الذى جده محمد أكرم من جد
ويا عزيزا هو عز الهدى والدين والدنيا بلا جحد
يا ليت خدى لك أرض فما آنف أن تمشى على خدى

وقال أيضاً :

دعا دمعهن فراق فجادا وأعجلهن المتنائى فزادا
فلم أر دمعاً كأدماعهن يهيض الحشى ويذيب الفؤادا
ولما تيقن أن الفراق يزود عشاقهن البعادا
تأولن أن لباس الجماد أحق بمن صير الحزن زادا
فنشرن ماقد طوت خرهن ليلبسن شعر النواصى حدادا
ولولا مراعاة عين الرقيب لبسن الثياب جهارا سوادا

محمد حسنه الاعظمى
عميد كلية اللغة العربية بالباكستان